" سيكون القرن الحادي والعشرون مسرحا للحروب الدينية الحادة، وسيكون الرهان على: الانتحار الكوكبي أو قيامة الإنسانية [ روجيه جارودي – الإرهاب الغربي 15/2 ].

# الفصل الثالث

# الدين والتدين تشابه والتباس

- **تمثل العلاقة بين الدين والتدين إشكالية في فهم العامة في ظل انتشار أمية الوعي فضلا عن أمية التعليم، ويخطيء كثير من العامة عندما يتناولون مصطلح التدين باعتباره قيمة إيجابية يوصف بها كل متمسك بالدين ( أي الشخص المحافظ )، فيقولون هذا رجل متدين أي ملتزم بأداء الفروض والطاعات وهو ما يعني الارتباط القوي بالدين التزاما بأوامره وخضوعا لنواهيه، وهذا بخلاف مفهوم المصطلح نفسه لدى المثقفين والمفكرين وأصحاب الرأي، وهذا ما نسعود له لاحقا بعد عرض موجز لتعريفات الدين.**

الدين ظاهرة نفسية اجتماعية حسب علماء الاجتماع، وقد اشتقت كلمة الدين " Religion " لغويا من اللفظ اللاتيني " Religare " بمعنى وحدة الجماعة وهويتها، ومن الكلمة Religere بمعنى الممارسة، خصوصا ممارسة طقوس التعبد الخاصة بالجماعة، بينما يدل لفظ دين في العربية على المحاسبة ، ولذلك يسمى يوم

القيامة بيوم الدينونة، ومن أسماء الله الحسني " الديان " بمعنى الحاكم والقاضي([169]).

والدين له تعريفات اصطلاحية عديدة منها تعريف " أنطوني جاردنر" الذي يستحضر فيه القوة العلوية التي تخرج عن ذوات البشر والإيمان بالحياة الآخرة بقولة " الإيمان بقوة علوية سامية تأمر الناس بقيم أخلاقية وأنماط سلوكية معينة، وتبشرهم أو تنذرهم بحياة أخرى "([170]).

ويرى الدين عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا على أنه حزمة من الأفكار المجردة والقيم والتجارب والخبرات البشرية كمحصلة لثقافة المجتمع وحضارته، فالدين رؤية لا يستغني عنها المجتمع؛ لكونها تحكم الأفكار الشخصية والعمل الإنساني([171]). وفي تعريف " بريان تينر" للدين يركز على الرمزية الدينية ودورها في التأثير العاطفي على الجماعة بقوله " إنه نسق من الرموز والقيم التي تربط البشر بعضهم ببعض، بواسطة تأثيرها العاطفي باعتبارهم ينتمون إلى جماعة أو مجتمع مقدس يعمل في ظل قيم الإيثار لمصلحة الجماعة وغاياتها المشتركة، ومن أخص

---

[169] - حليم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين ص 429

[170] - أنطوني جاردنر، علم الاجتماع ص 569

[171] - ينظر صلاح السيد بيومي، علم الاجتماع السياسي ص 187

تعريفات الدين وشمولها ما قدمه " رادكليف براون " في نصه " إنه تعبير عن الإحساس بالاعتماد على قوة خارج ذواتنا ويمكن وصفها باعتبارها ذات طبيعة روحية وأخلاقية، ويجري التعبير عن الاعتماد على القوة الغيبية من خلال الطقوص الدينية، التي تقدس من خلالها هذه القوي، ويؤكد الخضوع لها والتوسل إليها طلبا للعفو والمغفرة أو النجاح والسداد أو البركة والدعم والمساعدة "([172]).

ويضم عالم الاجتماع الفرنسي " إميل دوركايم " معظم هذه التعريفات في كبسولة واحدة تؤكد هوية الجماعة إذ يقول إن الدين هو " نسق متكامل من المعتقدات والممارسات المتصلة بالموضوعات المقدسة البعيدة عنا، بحيث تشكل هذه المعتقدات والممارسات جماعة أخلاقية أو دينية واحدة "([173])

والدين– في رأي فريق من الباحثين – ضرورة وجودية لا غنى للإنسان عنه لتحقيق الامتلاء الروحي والسمو الأخلاقي وبناء إطار واسع لتشكيل رؤية محددة للكون وتفسير الظواهر الإنسانية

---

[172] - H.M Johanson, Sociology, A Suytematic Introduction p 396

[173] - Bilton, Tony& Others, Introductory , Sociology p514

والكونية([174]) وهذا أحد أهم التعريفات الرصينة التي يتبناها البحث إجرائيا.

وفي رصده للفروق بين مفهوم كل من الدين والتدين " religiasity " يرى أحد الباحثين المعاصرين([175]) أن التدين يعبر عن اهتمام أصحاب ديانة ما بالأنشطة الدينية ومشاركتهم بفعالية وإيجابية في تلك الأنشطة حرصا على إقامة الشعائر والالتزام بالأحكام والقيم الدينية.

ونستنتج مما سبق أن العناية بالأطر الشكلية للدين من قبل الأفراد وحرصهم على إقامة الشعائر وإظهار احترامهم والتزامهم بالقيم الدينية.

ومن ثم يمكننا رصد الفروق بين الدين والتدين في :

المصدر : الدين السماوي مصدره قوة علوية قاهرة، والتدين مصدره الأفراد ( الإنسان ).

الإطار : الدين إطار نصي يحمل في مضمونه رسائل ومقاصد وتعليمات– أوامر ونواهي– وعبادات ومعاملات، أما التدين فهو

---

[174] - يراجع : عمار علي حسن، التنشئة السياسية للطرق الصوفية ص 85

[175] - يراجع صلاح السيد بيومي، علم الاجتماع السياسي ص 194

تصور لتطبيق التعليمات والأوامر والنواهي في إطار شكلي مظهري.

المحتوى : الدين نص لغوي ثابت سماوي منذ وجد، والتدين هو عادات سلوكية متغيرة بتغير الأقوام والعصور([176]).

ونود التأكيد بداية أن المقصود بالدين هنا مطلق الدين سواء كان صادرا عن قوى ما وراء الطبيعة أي الله ( جل شأنه )، وفي هذه الحالة يعمل الدين على في اتجاه تشكيل بناء مجتمع متماسك على قواعد من المعاني الدينية كما في الديانات السماوية، أو كان الدين تعبيرا عن معان أخلاقية صدرت عن أفراد لهم مكانة سامية كمصلحين اجتماعيين ثم طور المجتمع تلك المعاني كما هو الحال عند حمورابي وبوذا وزرادشت وكونفوشيوس وغيرهم.

ويرى الدكتور على ليلة أنه " إذا كان للمجتمع وجوده المادي الذي يجسد معاني الدين؛ فإن الدين له وجوده المعنوي المجرد الذي يسعى إلى تشكيل النظام الاجتماعي للمجتمع، وحينما نؤكد حاجة المجتمع إلى الدين فإننا بذلك نطلب التقاء المعنوي المجرد مع الواقع المتجسد في وحدة واحدة "([177]).

---

[176] - ينظر : العربي فرحاتي، الدين والتدين ، المعضلة البسيطة ...مقال مؤمنون بلا حدود

[177] - علي ليلة ، الدين والحاجة إلى التماسك الاجتماعي - عالم الفكر 2012/3 ص 44

ومعنى ذلك أن الدين أيا كان هو أهم عوامل اشباع حاجة المجتمع إلى التماسك حتى يصبح المجتمع مجتمعا قويا قادرا على القيام بوظائف متنوعة عبر مستويات أربعة هي : الرمز، ومنظومة القيم، وتكامل النظم الاجتماعية، والأداء الوظيفي المباشر.

وتأسيسا على ما تقدم فإن الدين ليس هو المكون الثقافي الرئيسي الذي يحفظ تماسك المجتمع، ويعمل على حفظ توازن الشخصية الإنسانية في حالة مواجهة الأزمات فحسب، بل إنه القاعدة الأوسع لثقافة المجتمعات العربية والشرقية على وجه الخصوص. ويستنتج من ذلك أيضا أن الدين بمعانيه ومبادئه وقيمه يقوم بدور أساسي في تشكيل رؤية المجتمع والإنسان للعالم، ومن فإن هذا يستتبع بالتالي فصل مفهوم الدين بمعناه العام الواسع، عن مفهوم التدين وهذا ما أكد عليه "عمار علي حسن"([178]) في بحثه عن تحولات الدين وتشكيل السلوك السياسي للفرد، والذي يرى فيه أن الدين ضرورة، ولا يستغني عنه المرء سواء لملء الفراغ الروحي والسمو الأخلاقي، أو لامتلاك إطار أوسع لفهم وتفسير الظواهر الكونية بعمق.

[178] - ينظر : عمار على حسن، التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر ص 85

هذا بينما يعرف أحد الباحثين الدين بأنه " الإيمان بقوة علوية سامية تأمر الناس بقيم أخلاقية وأنماط سلوكية معينة وتبشرهم أو تنذرهم بحياة أخرى ([179])"، يرى " جوستاف لوبون " أن العناصر التي يتألف منها كيان الإنسان تتصل بثلاثة أنواع من الحياة : الحياة العضوية والحياة العاطفية، والحياة العقلية، والاحتياج إلى الدين ( الاعتقاد ) من مظاهر الحياة العاطفية، ويهيمن علي تلك الطبيعة العاطفية، وبالتالي لايكون المعتقد إراديا ولا عقليا، أي لا سلطان للعقل عليه، والاحتياج إلى المعتقد لايفرق بين الجاهل والعالم، فكلاهما يحتاج إليه حاجته للغذاء والماء([180]),

ولذلك يعرف " جوستاف لوبون " المعتقد بأنه " إيمان ناشيء عن مصدر لا شعوري يكره الإنسان على تصديق فكر أو رأي أو تأويل أو مذهب جزافا " ثم يواصل حديثه بقوله إنه " متى استعان المرء في تحقيق صحة المعتقد بالتأمل والتجربة لا يظل المعتقد معتقدا بل يصبح معرفة"([181])، أي أنه يتحول من معتقد إلى معرفة.

---

179 - أنطوني جردنر، علم الاجتماع ص 569

180 - ينظر : جوستاف لوبون، الآراء والمعتقدات، ترجمة عادل زعيتر – دار المعرفة للطبع وانشر- سوسة – تونس ص 147

181 - المصدر السابق ص 9-10

وبما أن المنطقة العربية كانت الفضاء الفسيح الذي ظهرت فيه مختلف الديانات الوضعية منذ أزمنة سحيقة وكانت أيضا مهبط الرسالات السماوية جميعا، فإنه اتساقا مع ذلك نرى أن الإنسان العربي يميل إلى الدين بطبعه وفطرته، فالدين يشغل مساحة كبيرة في تشكيل هوية الفرد والمجتمع، بل وتمتلك العاطفة الدينية عليه كل جوارحه، وينظم الدين كل تفاصيل حياته.

وإذا كان الدين هو الإيمان أو الاعتقاد وهو في الوقت نفسه حجر الزاوية في بناء الشخصية العربية الشرقية وهو الذي يمسك علي الشخصية حركاتها وسكناتها، ويؤلف مكونات المجتمعات التي لم تتخلص كليا من تبعات الحياة القبلية التي سيطرت عليه لحقب زمنية طويلة، فإن تجاهل دوره في ثقافة الشعوب العربية وسلوكياتها نوع من العمى العلمي.

وبما أن احتياج الإنسان للاعتقاد عنصر نفسي مسيطر مثل اللذة والألم، فإننا أمام مؤثر ضخم في بناء تلك المجتمعات، وبناء على ما تقدم نتساءل : هل بقي الدين على حاله أم طرأت عليه تغيرات بعوامل النفس البشرية ؟.

ويرى أحد الباحثين([182]) أن الدين قد يكون نعمة عظيمة إذا أحسن الإفادة منه، وقد يسيء البعض استخدامه بالمغالاة والتنطع فيضلون به وينحرفون عن مراد الله منه، كما جاء في قوله تعالى( يا أيها الذين آمنوا لا تغلوا في دينكم ) النساء / 171 وقوله عز وجل ( يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين ) البقرة 26.

ويجمع كثير من الباحثين في علم الاجتماع السياسي على أن " الدين في أي زمان وفي أي مكان لم يبق- عند الغالبية -على حاله، بل طرأت عليه متغيرات متفاونة الدرجة، وأصابه من شرور النفس البشرية وسوء ممارساتها الكثير في ظل الجهل وانعدام الوعي، فتحول إلى صيغ عدة نظرية وعملية، ولكن هذه التحولات لا يمكن ولا يجب أن تعمينا عن الأصل أو التجلي الأول...لأنه يظل المرجعية والإطار الحاكم"([183]) .

فالدين بهذا المعنى يتجلى في النص الأول ( المرجعية )، بينما يعرف التدين بأنه تفاعل البشر مع النص وتأويله، وتأتي نقطة الصدام الرئيسية بين المتدين الذي يرى أنه على حق، وأن الحق

---

[182] - يراجع: عبد الكريم سروش، السياسة والتدين ص 111

[183] - عمار علي حسن، التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر 85

واحد ومطلق، وهو ما يعتقده هو وحده كفرد أو جماعة، ومن ثم لا يعترف المتدين بالتعددية ويجنح إلى إلغاء الآخر، ولايعترف من ثم بالتعددية ولا بتنوع أنماط الحق وتجلياته التي يقوم عليها المجتمع المدني([184]).

والحقيقة أن ما يصيبه التغير ليس هو الدين كعقيدة أو طقوس، ولكن التغير يصيب الطريقة التي يعتمدها الفرد في ممارسة الأصل والحياة وفق تلك الطريقة، وفي ظلال التدين ينشأ التعصب والنزاع وتتحول الأديان إلى خمسة أشكال من بسبب سوء الممارسة :

1- أيدولوجيا

2- فلكلور

3- أسطورة

4- تجارة

5- خطاب ثقافي

هذه التحولات الخمس عانت منها الديانات السماوية أكثر من الأديان الوضعية، وما زالت حتى اليوم، فتحول التدين إلى أيدولوجيا جرى على كل من اليهودية والمسيحية من قبل ثم

[184] - ينظر : عبد الكريم سروش، السياسة والتدين ص 110- 111

الإسلام بعد ذلك، وتحول الدين إلى أسطورة حدث أيضا وتجلى ذلك في اليهودية والمسيحية بخلط أساطير الأوائل بالعقيدة، كما طوع بعض الانتهازيين النصوص الدينية لخدمة الرأسمالية والملكية الفردية كما حدث في كل من المسيحية والإسلام([185]).

والحقيقة أن الدين مثل العلم سواء بسواء، يكمن فيه الخير كله إذا أحسن فهم مقاصده ومراميه، وقد يلازمه الشر المستطير إذا أسيء استخدامه، فالعلم الذي استخدم في علاج الأمراض وخدمة الإنسان وتطوير الصناعة والتكنولوجيا سخره البعض لصناعة الأسلحة الفتاكة والمدمرة وقتل الإنسان لأخيه الإنسان بصورة جماعية وهمجية.

وبما أن الدين هو أهم آلية من آليات التماسك الاجتماعي الثلاث([186]) فإنه قد يكون أيضا أداة تعصب وتحجر وطائفية بالممارسة والفعل، فالطائفية والتعصب تعد من أهم آليات التفكيك الاجتماعي واغتراب الإنسان داخل مجتمعه، وهذا يتطلب التعرف على مفهوم الطائفة والطائفية، وكيف تنشأ ؟ وما العوامل المؤثرة في نموها وتجذيرها ؟ وما النسق الثقافي الذي

---

185 - لمزيد من التفصيل ينظر : عمار علي حسن ، التنشئة السياسية للطرق الصوفية ص 67 -86 98 ، وبنظر: أوليفيه روا، عولمة الإسلام

186 - سبق التنويه إلى ذلك ص 3 :بالإضافة إلى الدولة وحق المواطنة.

يرعى بذرتها الأولى حتى تصبح أشجارا للحنظل تطال أشواكها الأقدام والحلوق والقلوب ؟

والطائفة في مفهومها العام : جماعة من الناس يشكلون تنظيما اجتماعيا تحكمه ثقافة واحدة، وتعمل الطائفة بالحفاظ علي وحدتها وخلق نوع من التجانس القوي بين أعضائها من ناحية وانفصالها النسبي عما حولها من طوائف مختلفة من ناحية أخرى، ونقل تلك الثقافة من جيل لآخر([187]).

وبعقد مقارنة بين الأفكار التي تبثها العولمة والقيم التي يبثها التدين ( وليس الدين ) مثل : الخصوصية والتعالي والتسامي على الآخر، ورفض التعددية، كل هذه القيم تؤسس للطائفية والانغلاق الثقافي، ويتضح مما سبق أن العولمة والتدين يشتركان في الأفكار والإجراءات والقيم التي تقوم عليها كل منهما، إذ يسعى كل منهما إلى :

1- تنميط المجتمع العولمي والطائفي عبر ثقافة واحدة.

2- الانفصال النسبي عما حولها المخالف لها.

3- تجذير الثقافة الواحدة عبر الأجيال.

---

[187] - ينظر : علي ليلة ، الدين والتماسك الاجتماعي ص 72 نقلا عن Tony Bilton Op. Cit P231

4- تفكيك المجتمعات وإعادة تركيبها وفق متطلبات العولمة لخلق ثقافة استهلاكية واحدة، والانعزال الوجداني للطائفة وإزهاق الروح الاجتماعية.

والمحصلة في النهاية أن الدين في جوهره تعليمات( افعل ولا تفعل )، عبادات ومعاملات، وتتنوع طرق ممارسة الدين وفق الأزمنة والأماكن والمجتمعات ومستواها الاقتصادي والتعليمي والثقافي، وقد تفيض من هذا الدين البركة والخير على العالم، ولكن المشكلة الرئيسية في المجتمعات الدينية أن المتدينين الجهلاء من مبتدعي ممارسة الطقوس دون إدراك للمقاد والمضامين، كثيرا ما يستخدمون الدين لبذر الفتنة والاختلاف من خلال نشر ثقافة التعصب والكراهية والتقليد والتزوير، وهو ما يؤدي إلى مسخ الدين وتلويث صورته الذهنية لدى الآخر، ومن ثم فليس هناك خدمة أكبر من تلك التي يؤديها الجهلاء وعديمي الفهم لأعداء دينهم مهما كان هذا الدين أو المعتقد قويما وراقيا في القيم والمقاصد !!!.